المحور 3. المحاضرة 7

المنهج الانثروبولوجي

أولا–ماهية الأنثروبولوجيا[1]:

المتعارف عليه بأن مرجعية لفظ الانثربولوجيا (*Anthropology*) يوناني (إغريقي) الأصل[2]، وهي مكونة من جذرين اثنين: أنثروبو(*Anthropo*) = الإنسان، وجذر (*log*) =(العلم)، وتركيب الجذرين سيحيلنا إلى= (علم الانسان)[3]، إنّه العلم الذي يتناول الإنسان بصفته كائن عضوي حي غير معزول عن مجتمع، وسلطة سياسية ودينية، تنظم مساره وأنساقه الاجتماعية[4]، لا نتحدث هنا فقط عن نظم وأنساق (القبيلة) الذي بنيت الانسانية في مراحل متباينة من تاريخ البشرية في المجالات الريفية وبحواف الصحراء، وضمن فضاءات صحراوية، بل نتحدث أيضا عن نظم اجتماعية متطورة، وذات ثقافات مدنية خاصة، وبمعنى أكثر دقة، فالأنثروبولوجيا هو العلم الذي يحاول التنبؤ بمستقبل الجنس البشري وتطوره عبر التاريخ الإنساني الطويل، بالتكيف المتواصل مع الوسط أو البيئة التي يعيش بها مستقرا، أو بالبيئات التي يتنقل للاستقرار ضمنها في حالة هجرات قصرية أو طوعية[5].

ويرتبط بمفهوم الأنثروبولوجيا Anthropologie أو علم الانسان محورين مهمين هما:

–الإثنوغرافيا:Ethnographie علم خصائص الشعوب.

– الإثنولوجيا: Ethnologie علم الأقوام.

ثانيا–المنهج الانثروبولوجي:

يرتبط منهج البحث الانثروبولوجي أو الطريقة الأنثروبولوجية لدراسة المجتمع بعلم الأناسة (الانسان عنصر حيواني (البيولوجيا)، عنصر من المجتمع (علم الاجتماع))، فالمنهج الانثروبولوجي هو تطبيق جملة من القواعد لدراسة أحد المجتمعات دراسة أنثروبولوجية، من خلال تحديد حدود البحث (الزمان والمكان). ويوجد عدة طرق يستطيع الباحث أن يستخدمها من أجل جمع المعلومات الأنثروغرافية من الميادين المتعددة والمختلفة، ومن أبرز هذه الطرق طريقة الملاحظة بالمشاركة، وطريقة المقابلة الموجهة، وطريقة المقابلة غير الموجهة، والملاحظة المباشرة، والمعايشة، طريقة المقارنة، طريقة دراسة الحالة، والهدف من تطبيق هذه الطرق هو الوصول إلى معايشة الانسان و/ او الجماعة كما هي في واقعها المعاش، والحصول على كل ما تعلق بالظاهرة المدروسة من علاقات وقيم وعادات، وأنماط

---

[1] كلود ليفي شتراوس، الأنثروبولوجيا البنيوية، تر: مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، 1983م.

[2] عبد المنعم حنفي، المرجع السابق، ص 115؛ عيسى الشماس، مدخل إلى علم الانسان (الانثروبولوجيا)، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2004م، ص 8.

[3] محمد علي المكاوي، الأنثروبولوجيا وقضايا الانسان، الدار الدولية للاستثمارات، القاهرة، ط1، 2007م، ص 9.

[4] أحمد أبو هلال، مقدمة في الانثربولوجيا التربوية، مطابع التعاونية، عمان، 1874م، ص 9؛ حياة خميس، "المعتقدات الدينية بين ثنائية السحر والأسطورة (رؤية انثروبولوجية دينية)، مجلة القبس للدراسات النفسية والاجتماعية، المجلد 13، العدد4، 2022م، ص 59.

[5] شاكر مصطفى، مدخل إلى الأنثروبولوجيا، مطبعة العاني، بغداد، 1975م، ص7.

حياة، يتحدد من خلالها طبيعة المجتمع وهويته الثقافية[6]. واستنادا لمفهوم الانثروبولوجيا وطبيعتها، فإن المنهج الأنثروبولوجي يحقق الباحث منها مجموعة من الأهداف[7]:

- وصف مظاهر الحياة لبشرية والحضارية وصفا دقيقا، عبر المعايشة، وتسجيل السلوكات اليومية؛
- تصنيف مظاهر الحياة البشرية والحضارية عبر واقعها وأنماطها في سياق التطور الحضاري العام للفرد؛
- تحديد أصول التغير الذي يحدث للإنسان، وأسبابها، وتحديد عناصر التغير المختلفة؛
- الوقوف على عناصر التراث الانساني بشقيه المادي والمعنوي؛
- تحديد تأثير العصبية والنزعة القبلية في فكر الفرد داخل مجتمعه القبلي[8]؛
- وصف التحولات الاجتماعية للفرد من البداوة إلى التحضر، وربطها بفكر العمران[9]؛

- تحديد أنواع المنطوق واللهجات والترسبات المؤثرة فيها عبر المراحل المختلفة، والمتعلق بالسلالات (الاثنية)[10].

ثالثا– أدوات البحث الأنثروبولوجي:

يفسر البحث الأنثروبولوجي بأنه عمل ميداني يحتاج لنجاحه تطبيق عدد من الطرائق التي يمكن اعتبارها أدوات فاعلة في العمل الميداني، والتي يعرفه موريس أنجرس بأنه:" طريقة تتناول موضوع بحث باتباع إجراءات تقصي مطبقة في مجتمع بحث"[11]، ومن جملة الأدوات المستخدمة في البحوث الأنثروبولوجية:

– الاستبيان.

– الملاحظة بالمشاركة: تتطلب من الباحث أن يقوم بدور الملاحظ أي مشاهدة الظروف الاجتماعية و المادية و الحضارية للمبحوثين، مع مشاركته في نشاطاتهم اليومية و الاضطلاع على معتقداتهم، و مواقفهم، و أغراضهم، و طموحاتهم. ولكن ليس من السهل أن يقوم الباحث بهذه الأدوار، مما يتطلب منه الاتصاف ببعض الصفات

---

[6] خواني خالد، المنهج الانثروبولوجي وأدواته بين النظري والتطبيق، مجلة الشامل، 4-2 (2021)، ص 379.

[7] جمال معتوق، "اسهامات المقريزي في الفكر الانثروبولوجي الاقتصادي"، مجلة أنثروبولوجيا، 7-2 (2021)، ص 180.

[8] محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون: العصبية والدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1992م، ص 12.

[9] أحمد أبو هلال، مقدمة في الانثربولوجيا التربوية، مطابع التعاونية، عمان، 1874م، ص 10؛ نصر الدين بن عودة، "إسهامات ابن خلدون في إثراء المفاهيم الأنثروبولوجية في المقدمة"، مجلة أنثروبولوجيا، 8-2 (2022)، ص 332.

[10] عبد الرزاق توميات، بين الأنثروبولوجيا والتاريخ: مقاربة في العلاقة بين علم الانسان والفكر الاستعماري الحديث"، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، المجلد 10، العدد 1، 2022م، ص 271.

[11] موريس أنجرس، المرجع السابق، ص 106.

كالصبر والجلد وأخد الحيطة والحذر والفطنة والوعي، وأن يعقد معهم علاقة ودية ليستطيع العيش وسطهم، ويحقق هدفه ألا وهو الحصول على المعلومات، والحقائق المطلوبة في البحث العلمي.[12]

- **الملاحظة المباشرة (المشاهدة)**: هي أحد الأساليب التي يستخدمها الباحث المقيم، في دراسة الشعوب البدائية. ويقوم هذا الأسلوب على مراقبة أو معاينة أفراد الشعب الذي تجري عليه الدراسة، في أثناء تأدية أعمالهم اليوميّة المعتادة. وكذلك حضور المناسبات العامة التي يقيمها أبناء هذا الشعب، كالحفلات والاجتماعات (الدينية أو الشعبية) وحلقات الرقص، ومراسم دفن الموتى، وغيرها...، ورصد الحركات والتصرّفات، وتسجيل ما يجدر تسجيله من حوارات وأغان وتراتيل، وما إلى ذلك من التعبيرات التي يبديها الأفراد في هذه المناسبات. وتحتاج هذه الطريقة، إلى أن يكون الباحث ملمّاً بأهداف بحثه وبطبيعة المجموعة المدروسة. وأن يتمتّع بقدر كبير من الاهتمام والوعي، بأبعاد الظاهرة التي يقوم بدراستها، وكيفيّة رصد هذه الأبعاد بدقّة وموضوعية، حيث يتوقّف على ذلك صدق المعلومات، وفائدتها العلميّة[13].

– **المقابلة**: هي المحادثة الجادة الموجهة نحو هدف محدد غير مجرد الرغبة في المحادثة لذاتها، وتعبر عن موقف للتفاعل الاجتماعي اللفظي تهدف إلى استثارة معلومات محددة تعلمه بهدف هذه المقابلة الذي قد يتمثل في البحث العلمي أو التشخيص أو العلاج أو التحقيق، ويستخدم فيها الجانب التبادل اللفظي الإيماءات، السلوك، الشكل العام، تعبيرات الوجه والعين، وهي تتكون من ثلاثة عناصر: "الباحث" و"المبحوث" و"الموقف الخاص بالمقابلة"، والتي تستخدم كمصدر للحصول على بيانات من الأفراد المبحوثين، ويمكن من خلالها معرفة المعتقد الذي وراء السلوك وكل جوانبه التي يصعب لنا معرفتها من خلال الملاحظات[14]. تتيح المقابلة للباحث إمكانية استخلاص المعلومات الشخصية والسرية والنفاذ إلى أعماق المشاعر والآراء والاتجاهات والمعتقدات، ويتمكن الباحث في المقابلة من تكييف الموقف للحصول على معلومات كافية تمتاز بالدقة والوضوح لأنه استقى المعلومة من مصدرها، وللمقابلة أنواع: مقابلة الفردية، جماعية، منظمة، شكلية[15].

– **المقارنة**: يركز هذا الأسلوب في البحوث الانسانية والاجتماعية على مقارنة جوانب التشابه والاختلاف بين الظواهر الاجتماعية لغرض اكتشاف العوامل او الظروف التي تصاحب حدوث ظاهرة اجتماعية أو نمط معين، ويمكن ان تكون المقارنة: –عرضية بمقارنة ظاهرة واحدة في أكثر من مجتمع او منطقة خلال حقبة زمنية واحدة؛ –

---

[12] رحيم العزاوي، المرجع السابق، ص 151–152؛ نصيرة قشيوش، "تقنيات البحث الأنتروبولوجي الميداني الملاحظة بالمشاركة أنموذجا"، مجلة أنثروبولوجية الأديان، 15–1 (2019)، ص 47–57؛ عباس رضوان وبن معمر بوخضرة، "الملاحظة بالمشاركة ودورها في تفعيل البحث الميداني"، مجلة الفكر المتوسطي، 11–1 (2022)، ص 29.

[13] رحيم العزاوي، المرجع السابق، ص 150؛ ريما ماجد، المرجع السابق، ص 35؛ خواني خالد، المرجع السابق، ص 383.

[14] جفال نور الدين، " المنهج الأنثروبولوجي ودراسة الممارسات الدينية"، مجلة الحوار الثقافي، 3–1 (2014)، ص 153–160؛ خواني خالد، المرجع السابق، ص 384.

[15] رحيم العزاوي، المرجع السابق، ص 142.

طولية: بمقارنة ظاهرة واحدة في مجتمع واحد عبر قنوات زمنية طويلة من أجل دراسة تطور الظاهرة وتغيرها عبر الوقت[16].

– دراسة حالة: هو أسلوب يعتمد لدراسة مرحلة معينة من تاريخ المجتمع أو دراسة جميع المراحل التي مر بها المجتمع للوصول إلى دراسة الانماط الاجتماعية وتطورها التاريخي، وتتضمن أدوات هذه الطريقة المقابلة ودراسة الوثائق والسجلات والمذكرات وتحليل الاحصائيات والبيانات الكمية المتوفرة، وغيرها[17].

رابعا– المنهج الانثروبولوجي وعلم التاريخ[18]:

ارتبطت الانثربولوجيا كمعرفة شمولية للإنسان وعلاقاته بامتداده التاريخي والجغرافي، وتعد فكرة ابراز العلاقات المعقدة بين الشرائح الاجتماعية ومحيطها الجغرافي انطلاقا من فكرة الأمد الطويل أحد المبادئ التصورية لمدرسة الحوليات الفرنسية، والقائمة على الامكاناتية (*possibilisme*) أو نقيض الحتمية[19]. إن الفرضية أو الأطروحة التي تبناها الغرب، والتي مفادها: "الأنثروبولوجيا علم غربي أصيل" سرعان ما وجدت طريقها للتفنيد والدحض من قبل الباحثين العرب المسلمين باعتماد النصوص والأدلة الدامغة، نتحدث هنا عن فترة العصر الوسيط تخصيصا . لقد نبه فن الرحلات خلال المراحل المتقدمة من التاريخ الاسلامي إلى ارتباط علم الانثروبولوجيا بالتاريخ، هنا نتحدث عن جانب مهم من خصائص أو محددات علم الانثروبولوجيا وهي الملاحظة كسبيل للوصول إلى نتائج هادفة متعلقة بالإنسان. إن تشبيه الرحلات بالمذكرات يكاد يكون صائبا باعتبار كاتب الرحلة يقيد حركاته المرتبطة بالملاحظات التي يقف عليها، وبالمثل نجد هذه الخاصية تنطبق على الكتب الوصفية الجغرافية .

إن التقاطعات التي حاول المنظر البنيوي ذو الأصول الفرنسية (كلود ليفي) إبراز رؤية موازية لعلاقة التاريخ بالأنثروبولوجيا[20]، قد نجد لها تفنيدا في مثل هذه المصنفات الجغرافية والأدبية التذكارية، فنظرته القائلة بأن التاريخ يسعى إلى كتابة حدث من خلال وثائق وشواهد، يقابله علم الانسان أو الانثروبولوجيا المعتمد على المشافهة، لكن هذه النظرة قد توقع صاحبها في تناقض إذا ما ربطناها بالمعطيات الدلالية التي نجدها بكتب الرحلة، فهي نصوص تذكارية، مشافهة، وتنقل معطيات مرتبطة بالإنسان في فترات زمنية مختلفة، طويلة الأمد أو قصيرة بحسب نظرة مدرسة الحوليات الفرنسية[21]. في النهاية، سنصل إلى أن علم الأنثروبولوجيا يقدم لنا معرفة شمولية للإنسان وعلاقاته بامتداده التاريخي والجغرافي، ولعل هذه المعرفة قد تحددها مكتملة النصوص الوصفية القائمة على

---

[16] ريما ماجد، المرجع السابق، ص 27.

[17] المرجع نفسه، ص 29.

[18] زياني الصادق، " التاريخ والأنثروبولوجيا: بين إلتقاء العلوم وخدمة الأجيال في كشف تاريخ الجماعات المغمور"، الملتقى الدولي: التاريخ والأجيال – الواقع والمأمول–، جامعة الشاذلي بن جديد الطارف/الجزائر، 2023/12/13م.

[19] الهادي التيمومي، المدارس التاريخية الحديثة، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2013م، ص 182.

[20] شتراوس كلود ليفي، الأنثروبولوجيا البنيوية، تر: مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، 1983م، ص 138.

[21] الهادي التيمومي، المرجع السابق، ص 182.

الملاحظة، وهنا تتقاطع مع ملاحظة الانثروبولوجيا بوصفه علما تجريبيا، وقدم صورة الجنس البشري في وسط مجتمعه عبر فترات زمنية محدودة أو طويلة الأمد[22].

[22] جمال معتوق، المرجع السابق، ص 184.